شرح ثلاثة الأصول

للإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

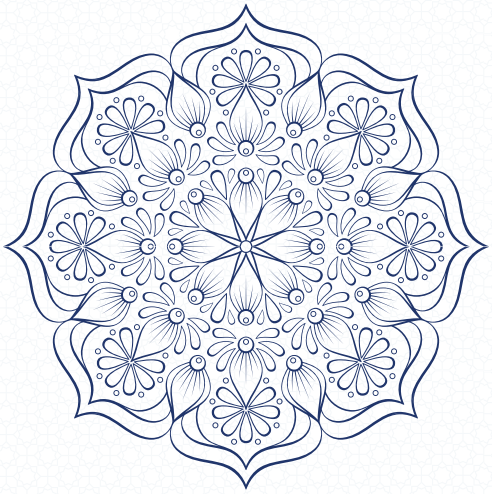

شرح ثلاثة الأصول

للإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[1]

جامع شيخ الإسلام ابن تيمية بالرياض

نسخة خاصة لبرنامج دليل ١٤/ ٣/ ١٤٤٦هـ

(١) **تنبيه**: هذا الشرح مستفاد من عدة شروح لهذه الرسالة لأهل العلم جزاهم الله خيراً، ومن مراجع أخرىٰ، ولم يُراعَ فيه التوثيق العلمي؛ لأن الغرض ابتداءً لم يكن لنشر هذا الشرح، وإنما تم إخراجه بهذه الصورة للتيسير علىٰ طلاب العلم في برنامج دليل، والله الموفق.

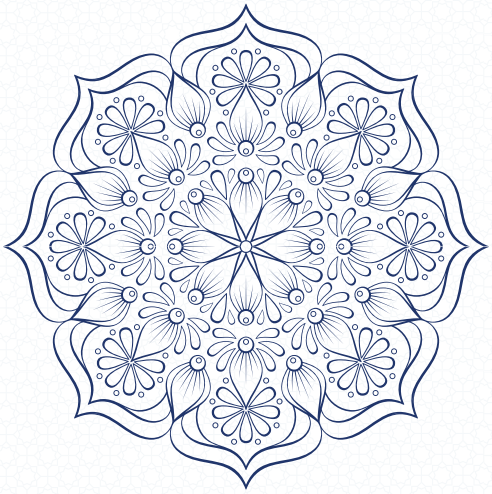

الدرس الثاني

إن الحمد لله . . . أما بعد:

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

(اعلـم أرشـدك الله لطاعتـه أن الحنيفية ملة إبراهيـم، أن تعبد الله وحده مخلصـًا له الدين)

هذه الرسالة الثالثة من المقدمات بين يدي رسالة ثلاثة الأصول.

بدأهـا بالدعـاء بقوله: (أرشـدك الله لطاعتـه) كعادته رحمـه الله تعالى في رسائله.

ولفظها لفظ الخبر، ومعناها الطلب، أي اللهم أرشِدْه لطاعتك.

والرُّشـد: هو الاسـتقامة على طريق الحق، فمعنى أرشدك الله: أي وفقك وهداك.

والطاعة: فعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه.

والحنيفيـة: طريقة وشـريعة الخليل إبراهيم عليه الصلاة السـلام وجميع الأنبياء عليهم السلام.

وهي عبادة الله بالإخلاص وترك عبادة ما سواه قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾.

والحنيف مشتق من الحَنَف وهو الميل، فالحنيف المائل عن الشرك قصداً

إلى التوحيد.

وقيل الحنيف: المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه.

والمعنيان لا يتعارضان.

والملة بمعنى الدين، وهو اسم لكل ما شرعه الله سبحانه لعباده.

(أن تعبد الله) العبادة في اللغة بمعنى التذلل والخضوع، يقال طريق معبَّد أي مذلل.

وفي الشرع عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

(مخلصا له الدين) الإخلاص من الخلوص، وهو الصفاء والسلامة من أي شائبة.

والمعنى أن تعبد الله تعالى عبادة خالصة له وحده، لا تجعل شيئا منها لغيره.

> **(وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾).

(وبذلك) الإشارة هنا إلى العبادة الخالصة.

(أمر الله جميع الناس) كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾

(وخلقهم لها) أي ما خلق الله جميع الناس إلا لعبادته وحده سبحانه.

(كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾) فدل على أن الله

خلق الخلق لحكمة عظيمة، وهي عبادته دون ما سواه.

والجن عالم غيبي مخلوق من نار، وسُمُّوا جنًا؛ لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون.

والإنس هم البشر، وسمُّوا بذلك لأن بعضهم يأنس ببعض.

(ومعنى يعبدون: يوحدون)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كل موضع في القرآن (اعبدوا الله) فمعناه وحدوا الله.

(وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة)

إنما كان التوحيد هو أعظم ما أمر الله به؛ لأنه به تُكفَّر الذنوب وتُستوجب الجنة ويُنجى من النار، ولأن التوحيد هو الأصل الذي يُبنى عليه الدين كله.

والتوحيد في اللغة مصدر وحد يوحد أي جعل الشيء واحداً.

وفي الشرع عرفه المؤلف رحمه الله تعالى بقوله: وهو إفراد الله بالعبادة.

ومراده بهذا التعريف: التوحيد الذي بُعثت الرسل لتحقيقه؛ لأنه هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم.

والتعريف الأعم للتوحيد: وهو إفراد الله تعالى سبحانه وتعالى بما يختص به.

فيدخل في هذا التعريف أنواع التوحيد الثلاثة.

توحيد الربوبية: وهو إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير.

توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بالعبادة.

توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به من الأسماء والصفات، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والعبادة نوعان:

١- عبادة كونية: وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني، وهو ما يقدره الله تعالى على العباد مؤمنهم وكافرهم من مرض وفقر وفقد محبوب ونحو ذلك، وهذه شاملة لجميع الخلق، قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾.
٢- عبادة شرعية: وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي، وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

(وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، وهو دعوة غيره معه)

لأن الشرك أظلم الظلم، وفيه هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين، وهو أقبح المعاصي؛ لما فيه من تسوية المخلوق الناقص بالخالق الكامل من جميع الوجوه. ومما يدل على أن الشرك أعظم الذنوب ما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

وفي صحيح مسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، ثلاثاً: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور».

والشرك في الأصل بمعنى النصيب.

وفي الشرع عرَّفه المؤلف رحمه الله تعالى بقوله: وهو دعوة غيره معه.

أي أن يَجعل مع الله إلها آخر، مِن ملَك أو رسول أو ولي أو حجر ونحوه، يعبده كما يعبد الله تعالى، وذلك بدعائه والاستغاثة به والذبح له وغير ذلك من أنواع العبادة.

وهذا من الشرك الأكبر، المخرج من الملة.

أما الشرك الأصغر، فهو: ما جاء في النّصوص أنه شركٌ ولم يَصِلْ إلى حدِّ الشّركِ الأكبر[١]. وقيل هو: كلُّ وسيلة وذريعة يُتَطَرَّقُ منها إلى الشِّرْكِ الأكبرِ من الإراداتِ والأقوالِ والأفعالِ التي لم تبلغْ رتْبةَ العبادةَ[٢].

ومن أمثلة الشرك الأصغر: الحلف بغير الله تعالى، والرياء اليسير في العبادات، وقول ما شاء الله وشئت، وقد يكون شركًا أكبر بحسب قصد قائله.

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

١- الشرك الأكبر مخرج من الملة، ويكون المسلم الذي وقع في الشرك الأكبر مرتدا، يستتاب من قبل ولي الأمر، فإن تاب وإلا قتله، بخلاف الأصغر.

٢- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه، بخلاف الأصغر.

٣- الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، بخلاف الأصغر.

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾)

(١) انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص ٥١).

(٢) انظر: لقول السّديد لابن سعدي (ص ٥٤).

ففي الآية الأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

(شيئًا) نكرة في سياق النهي فتعم الشرك قليله وكثيره، كما تعم الشرك بالملَك والنبي والولي وغيرهم من المخلوقين.

كما أنه سبحانه لم يخص نوعًا من أنواع العبادة ليعم جميع أنواعها من الدعاء والصلاة والتوكل وغيرها.

(فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدا صلى الله عليه وسلم)

هذا بداية رسالة ثلاثة الأصول كما تقدم.

وأتى رحمه الله تعالى بصيغة السؤال والجواب؛ لأن ذلك أوقع في النفس. وطريقة الشيخ في عرض السؤال والجواب طريقة نافعة في تقرير المعلومات وسرعة فهمها، وتهيئ السامع لما سيلقى عليه من العلم، وهذه الطريقة كان يسلكها النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما الغيبة» . . . وهذه الأصول الثلاثة هي التي يُسأل عنها الإنسان في قبره، وهذا يدل على عظم أهميتها، وأنه يجب معرفة معناها، ثم العمل بمقتضاها، لعل الله أن يوفق العبد للجواب الصحيح في قبره إذا سأله الملكان، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

ثم إن المؤلف رحمه الله تعالى أتى بهذه الأصول الثلاثة مجملة، ثم فصَّلها كما سيأتي، وطريقة الإجمال ثم التفصيل في عرض العلم من مقاصد أهل البلاغة؛ لأن النفوس إذا عرفت الشيء إجمالاً تطلعت لمعرفته تفصيلاً.

(فـإذا قيل لك: من ربك؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه)

هذا شروع من المؤلف رحمه الله تعالى في تفصيل الأصل الأول.

(من ربك؟) أي مَن خالقك، ومَن معبودك؟

(فقـل ربي الله الذي رباني) أي ربي الله الذي خلقني، وأوجدني من العدم، ورباني بالنعم.

(وربـى جميـع العالمين بنعمـه) أي خلـق جميع الخلـق، وأوجدهم من العدم، ورباهم بالنعم.

(وهو معبودي ليس لي معبود سـواه) هذا مدلول كلمة التوحيد، لا إله إلا الله.

وابتـدأ المؤلـف رحمه الله تعالى بهـذا الأصل وهو معرفـة العبد ربه؛ لأن الذين خاطبهم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، فاسـتدل به على توحيد الألوهية؛ بمعنى أنه سبحانه إذا كان هو المستحق للربوبية فليكن هو المستحق للعبادة.

(والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾)

رب العالميـن: أي رب جميـع الخلـق، فكل ما سـوى الله تعالى داخل في قوله (العالمين).

ودلـت الآية أيضا علـى أن الله تعالى هو المعبود، فإن لفـظ الرب إذا أُفرد دخل فيه المعبـود، فالمعنى أنه رب العالمين وخالقهم ومعبودهم وحده دون ما سواه.

(وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم)

فالوجود ينقسم إلى قسمين: رب ومربوب.

والعوالم كثيرة: عالم الإنس وعالم الملائكة وعالم الجن وغير ذلك.

وأنت أيها الإنسان من جملة ذلك العالم، ورب هذه العوالم ومعبودها هو الله تعالى وحده.

(فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟)

يعني ما دليلك على معرفة ربك؟

(فقل: بآياته ومخلوقاته)

الآيات أي الدلائل والعلامات الدالة على وحدانية الله تعالى.

وكذا جميع المخلوقات دالة على وحدانية الله تعالى، فكل فرد من أفراد مخلوقاته وإن دق دال على وحدانية الله عز وجل، ولهذا قال الشاعر:

فوا عجبًا كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

(ومن آياته الليل والنهار، والشمس والقمر)

أي ومن آياته الكونية المشاهدةِ بالأبصار الدالةِ على وحدانيته سبحانه الليلُ والنهار، فكون الليل يأتي بظلامه ويعمُ الأرض، ثم يعقبه النهار فيعم الأرض بنوره، بهذا التعاقب والانتظام لا شك أنه دال على خالق أوجده ودبَّره.

وكذا من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى الشمس والقمر، الجاريان بجريان دقيق، وسير منضبط، هذا كله دال على موجد ومدبر لهما.

(ومن مخلوقاته السماوات السبع، والأرضون السبع، وما فيهن، وما

بينهما)

أي ومن أعظم مخلوقاته السماوات السبع وما فيها من بديع الخلق وما فيها من الكواكب السيارة، والنجوم الزاهرة، والأرضون السبع وما فيها من الحيوانات والنباتات والبحار والأنهار والجبال وغير ذلك، كل ذلك من أعظم الدلائل على وحدانية الله تعالى وتفرده بالخلق.

وَيُحْكَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ أَرَادُوا الْبَحْثَ مَعَهُ فِي تَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ. فَقَالَ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي قَبْلَ أَنْ نَتَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَنْ سَفِينَةٍ فِي دِجْلَةَ، تَذْهَبُ، فَتَمْتَلِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَتَاعِ وَغَيْرِهِ بِنَفْسِهَا، وَتَعُودُ بِنَفْسِهَا، فَتَرْسُو بِنَفْسِهَا، وَتُفْرِغُ وَتَرْجِعُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدَبِّرَهَا أَحَدٌ؟! فَقَالُوا: هَذَا مُحَالٌ لَا يُمْكِنُ أَبَدًا! فَقَالَ لَهُمْ: إِذَا كَانَ هَذَا مُحَالًا فِي سَفِينَةٍ، فَكَيْفَ فِي هَذَا الْعَالَمِ كُلِّهِ عُلْوِهِ وَسُفْلِهِ!![1]

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾)

هذا الدليل على أن الليل والنهار والشمس والقمر من آيات الله تعالى الدالة على وحدانيته، وانفراده سبحانه باستحقاق العبادة.

وتضمنت هذه الآية النهي عن عبادة غير الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ ثم الأمر بعبادة الله تعالى وحده ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾

وفي قوله سبحانه: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي إن كنتم تخصونه بالعبادة

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٣٥، ت: شاكر.

وحده.

(**وقوله تعالى**: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾)

هذا الدليل على أن السماوات والأرضين من مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ تعرَّف إلينا سبحانه بأعظم مخلوقاته، وهي السماوات والأرض ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي علا عليه واستقر عليه علوا يليق بجلاله وعظمته، لا يماثل علو المخلوقين ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي سريعا ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ أي مذللات ﴿بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فهو المتفرد بالخلق، كما أنه المتفرد بالأمر.

(**والرب هو المعبود**)

أي من معاني الرب ومما يُطلَق عليه: المعبود. كما أن الرب يطلق على الخالق والمالك والمتصرف ومربي جميع العالمين بالنعم.

ومعنى المعبود: المستحق أن يعبد وحده دون ما سواه. لأنه سبحانه هو الخالق وحده فيتعين أن يكون هو المعبود وحده.

(**والدليل قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾)

هذه الآية خطاب لجميع الخلق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ وهي أول نداء يمر بك في القرآن الكريم. ومعنى ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي وحدوه بالعبادة.

قال البغوي في تفسير الآية: (﴿ٱعْبُدُواْ﴾ وَحِّدُوا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْعِبَادَةِ فَمَعْنَاهَا التَّوْحِيدُ)

كما أن أول فعل يمر بك في القرآن الكريم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وتقديم المعمول هنا يفيد الحصر، أي: لا نعبد سواك، ولا نستعين بغيرك.

وأول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾

وهذا كله يدل على أهمية التوحيد، وضرورة العناية به، والدعوة إليه.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي أوجدكم وأوجد الذين من قبلكم من العدم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ عقابه، ولا يُتقى عقابه إلا بأن يعبد وحده.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ أي منبسطة مسطحة كالفراش، تتمكنون من السير فيها وتنتفعون منها بأنواع المنافع.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ أي سقفا.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ أي أنزل من السحاب مطرا، وأخرج به النبات والثمرات، وهذا كله من أفراد ربوبيته.

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ الأنداد جمع ند، وهو الشبيه والمثل والنظير، أي

لا تجعلوا لله نظراء وأمثالا في العبادة.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تفرده سبحانه بالخلق والتدبير، وهذا يقتضي إفراده سبحانه بالعبادة.

فاحتج عليهم بما أقروا به، فالمستحق لأن يكون ربا هو المستحق لأن يكون معبودا.

(قال ابن كثير رحمه الله تعالى: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة)

وهذا الكلام من الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى مؤكد لما تقدم، وفيه أن ما قرره الشيخ في هذه المسألة هو ما قرره علماء السنة قبله، فلم يأت بشيء جديد.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية من تفسيره ١/ ١٩٤: (ومنْ أَشْبَهِ آيَةٍ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غَافِرٍ: ٦٤] وَمَضْمُونُهُ: أَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ مَالِكُ الدَّارِ، وَسَاكِنِيهَا، وَرَازِقُهُمْ، فَبِهَذَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ غَيره)

وقال في البداية والنهاية ١/ ٣٣٤ ط. هجر: (وَإِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّكُمْ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْخَالِقُ لَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ).

(وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان)

ذكرها مجملة، وستأتي مفصلة في كلامه رحمه الله تعالى.

(ومنه الدعاء)

أي ومن أنواع العبادة الدعاء

(والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى)

ذكر المؤلف جملة من أنواع العبادة، وأنواعها كثيرة، وتعريف العبادة الذي يجمع لك كل أنواعها، هو ما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وهو أحسن تعاريفها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾)

هذا الدليل على اختصاص الرب جل وعلا بالعبادة.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ تقدم أن «المساجد» تُفسَّر عند أهل العلم بتفسيرين:

الأول: أنها المواضع التي بُنيت لعبادة الله تعالى، ويكون المعنى: أن هذه المساجد ما بُنيت إلا لله وحده، فلا تعبدوا فيها غيره.

الثاني: أنها الأعضاء التي يُسجَد عليها: الجبهة والأنف، واليدان والركبتان وأطراف القدمين، فهذه الأعضاء خلقها الله تعالى ليُسجَد له بها، فلا يُسجَد بها لغيره.

فلا تدعوا مع الله أحدا: كلمة (أحدا) نكرة في سياق النهي فتفيد العموم، فتشمل كل من يُدعى مع الله تعالى، من الأنبياء عليهم الصلاة السلام والملائكة عليهم الصلاة السلام والصالحين وغير ذلك.

(فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر)

أي من صرف أي نوع من أنواع العبادة مما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ومما لم يذكره لغير الله تعالى فهو مشرك كافر، أي الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، كمن يستغيث بالأولياء، ويطلب منهم كشف الكربات وقضاء الحاجات، وينذر لأصحاب القبور، ويذبح للجن، أو يقول لميت مدد يا فلان، كل ذلك من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

وهو كافر أيضا لجحوده ما أوجب الله عليه من التوحيد.

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾)

أي الدليل على أن من صرف شيئا من العبادة لغير الله تعالى فهو مشرك كافر، قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي من أشرك مع الله تعالى غيره في عبادته، وجعله إلها مع الله عز وجل.

﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ أي لا دليل له على قوله، وهي صفة كاشفة لبيان الأمر الواقع، وهو أن كل من دعا غير الله تعالى فلا يمكن أن يكون معه برهان.

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ أي أن الله تعالى سيحاسبه على ذلك، وهذا فيه تهديد عظيم.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي لا فلاح لهم في الدنيا ولا في الآخرة ولا نجاة، فدل على أن من يدعو غير الله تعالى – دعاء عبادة أو دعاء مسألة – أنه كافر.

(وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة»)

هذا شروع من المؤلف رحمه الله تعالى في ذكر الأدلة على ما ذكر من

أنواع العبادة، ذكرها أولاً مجملة، ثم فصَّل بذكر أدلتها.

ذكر أولاً الإسلام والإيمان والإحسان، وهذه كما تقدمت الإشارة إليه ستأتي إن شاء الله تعالى في كلام المؤلف رحمه الله تعالى مفصلة بأدلتها في الأصل الثاني من هذه الرسالة.

وبعدها ذكر الدعاء، والدعاء على قسمين دعاء عبادة ودعاء مسألة، ولهذا بدأ به المؤلف رحمه الله تعالى؛ لأنه أهم أنواع العبادة، بل كل أنواعها راجعة إليه.

واستدل المؤلف رحمه الله تعالى على أن الدعاء عبادة بهذا الحديث: «الدعاء مخ العبادة» والذي أخرجه الترمذي في جامعه (٣٣٧١) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ» وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيعَةَ». وضعفه الألباني.

ومعنى مخ العبادة: أي خالصها، ومخ الشيء خالصه، وإنما كان الدعاء مخ العبادة وخالصها؛ لأنه ما من عبادة إلا وفيها دعاء إما لفظا وإما باللازم.

وفي معنى هذا الحديث ما أخرج الترمذي (٣٣٧٢) عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وصححه الألباني.

ونلحظ أنه في هذا اللفظ الآخر جاء مقرونا بالآية التي ذكرها المؤلف بعد

الحديث، مما يؤكد أن الدعاء عبادة.

(**والدليل قوله تعالى**: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾)

هذا دليل آخر على أن الدعاء عبادة.

ووجه الدلالة من الآية في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ﴾ فأمر بدعائه، ولا يأمر جل وعلا إلا بما يحب، فدل على أن الدعاء محبوب إلى الله سبحانه، وإذا كان محبوبا فهو داخل في تعريف العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ...

وأيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فسمى الدعاء عبادة.

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي أذلاء صاغرين. عوقبوا بنقيض قصدهم، لما استكبروا عن عبادة الله تعالى وحده، عاقبهم الله تعالى بالذلة والصغار يوم القيامة.

(**ودليل الخوف قوله تعالى**: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾)

الخوف عبادة قلبية، وقد أمر الله به في هذه الآية فقال: ﴿وَخَافُونِ﴾ فدل على أنه محبوب إلى الله تعالى، لأن الله تعالى لا يأمر إلا بما يحب، فدخل في حد العبادة: اسم جامع ...

ولذا فلا تصرف عبادة الخوف إلا لله تعالى؛ لأن الله تعالى نهى عن الخوف من غيره فقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾.

ومن خاف من غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، فهو مشرك، كخوف المشركين من آلهتهم أن تصيبهم بأذى إذا لم يوقروها، أو إذا تكلموا

فيهـا بما لا يليق في زعمهم، يقولون قد تصيبـك بالموت أو المرض أو ذهاب العقل ... لأنك آذيت الآلهة، أو لم تقم بحقها عليك، حتى إنهم يتهددون أهل التوحيـد الذين يبينون بطلان دعاء هذه الآلهـة وعبادتها، فهذا كله من الخوف الشـركي، ويسـمى خوف السـر، وهذا النوع لا يجوز صرفه إلا لله تعالى فهو سبحانه الذي بيده النفع والضر، ومن صرف هذا الخوف إلى غيره فهو مشرك الشرك الأكبر.

أمـا الخـوف الطبيعي، كمن يخاف من الأسـد أن يفترسـه، أو من النار أن تحرقـه، أو مـن ظالم قادر علـى أذيته، وغير ذلك، فهـذا لا يضر، ولا يقدح في توحيـد العبد، وهو خوف مباح يحصل للمـرء بمقتضى الطبيعة، وقد وقع من نبي الله موسـى عليه الصلاة والسـلام، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ وقال سبحانه: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ لكن لا بد أن يستحضر في هذا النوع من الخوف أنه لا يضره هذا الذي يخاف منه إلا بقضاء الله تعالى وقدره.

ودلت هذه الآية على أن الخوف من الله تعالى شرط لصحة الإيمان، لقوله تعالـى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُـمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن: شـرطية، فدلت على أن الخوف عبادة، وأن هذا الخوف الذي هو عبادة شـرط لصحة الإيمان، وينتفي الإيمان عند انتفائه.

(ودليـل الرجاء قوله تعالـى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَـآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾)

الرجاء عبادة قلبية، والرجاء ضد الخوف، وهو الطمع والرغبة في الحصول على المقصود.

ورجاء المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى شـرك أكبر، مثل من رجا

مخلوقًا أن يهدي قلبه، أو رجا الكفيف ميتًا أن يَرُدَّ عليه بصره.

أما الرجاء الطبيعي، كأن يرجو حصول خير له من هذا المخلوق فيما يقدر عليه، ولا يترتب على ذلك فعل محرم أو ترك واجب فهذا لا بأس به، مع استحضار أن هذا المخلوق سبب فقط، وأن الأمر كله بقضاء الله وقدره.

ووجه الدلالة من الآية على أن الرجاء عبادة أن الله تعالى امتدح من يرجو لقاء ربه، أي ملاقاة ربه يوم القيامة، وجعل طريق ذلك العمل الصالح وترك الشرك، فدل على أن هذا النوع من الرجاء محبوب إلى الله تعالى، وإذا كان محبوبا فهو عبادة.

(ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ **وقال:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾**)**

التوكل عبادة قلبية، وهو تفويض الأمر إلى الله والاعتماد عليه في حصول المطلوب ودفع المرهوب، مع بذل الأسباب المشروعة.

والدليل على أن التوكل عبادة قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ فقدم المعمول (على الله) على العامل (فتوكلوا) فأفاد الحصر؛ لأن من قواعد العربية أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، فيكون المعنى: توكلوا على الله وحده.

وفي أمره بالتوكل عليه دليل على أنه عباده كما تقدم، لدلالته على أنه محبوب إلى الله تعالى، فيدخل في حد العبادة.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ إن: شرطية، فدل على أن التوكل على الله تعالى شرط في صحة الإيمان، ينتفي بانتفائه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي كافيه في جميع أموره، وإذا كان الله تعالى كافي من توكل عليه، دل على أنه لا يجوز التوكل إلا على من بيده الكفاية وحده.

ولأنه رتب على التوكل عليه سبحانه الجزاء وهو الكفاية لعبده المتوكل عليه، فدل على أن التوكل محبوب إلى الله تعالى، وإلا لم يرتب عليه هذا الجزاء، وإذا كان محبوبا إلى الله عز وجل دخل في حد العبادة كما تقدم.

(ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾)

هذه العبادات الثلاث الرغبة والرهبة والخشوع كلها عبادات قلبية.

فالرغبة معناها طلب الشيء بمبالغة، أي يطلب الشيء طلبا بالغا.

وعُرِّفت: بأنها الرجاء المؤكد الذي معه حب وخضوع لمن يرجوه.

فمن رغب من المخلوق فيما لا يقدر إلا الله فقد صرف العبادة لغير الله عز وجل.

أما الرغبة من المخلوق فيما يقدر عليه ولا يترتب على ذلك فعل محرم أو ترك واجب فهو جائز، لكن مع استحضار أن الأمر كله بقضاء الله تعالى وقدره.

ومن الأدلة على أن الرغبة عبادة قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ أي لا إلى غيره.

والرهبة: معناها قريب من الخوف، وهي الخوف الذي يثمر الهرب من المخوف منه.

والخشوع: معناه الذل والسكون.

فالخشوع لله تعالى يفيد التذلل لله سبحانه والتواضع والخضوع له دون ما سواه.

ودليل هذه العبادات الثلاث قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ فأثنى على هؤلاء المذكورين في هذه الآية بهذه الصفات الثلاث، ولا يثني جل وعلا عليهم إلى بصفات يحبها، فدل على أن هذه الصفات عبادة، لا تصرف إلا له وحده.

والدعاء في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة.

ولأنه سبحانه قال في هذه الآية: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ فقدم الجار والمجرور، وحقه أن يؤخر، فدل على الحصر، أي خاشعين لنا لا لغيرنا.

(ودليل الخشية قوله تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾)

الخشية عبادة قلبية، وهي بمعنى الخوف لكنها أخص منه، فهي الخوف الذي يحمل صاحبه على اللجأ إلى الله تعالى، والاستقامة بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

وقيل: هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه.

والدليل على أن الخشية عبادة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ فأمر بخشيته سبحانه فدل على أنها محبوبة إليه لأنه لا يأمر إلا بما يحب، فتدخل حينئذ في حد العبادة المتقدم.

ولأنه سبحانه أمر بخشيته ونهى عن خشية ما سواه، فدل على أن الخشية عباده لا تصرف إلا إلى الله تعالى.

ومثل هذه الآية: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾

(ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾)

الإنابة بمعنى التوبة إلا أنها أخص منها، وهي أعلى مقامات التوبة، فالتوبة فيها الإقلاع عن الذنب والندم على فعله، والعزم على عدم العود إليه، والإنابة تفيد هذا المعنى وتزيد الإقبال على الله تعالى بالعبادة والازدياد منها.

والدليل على أنها عبادة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ فأمر بالإنابة إليه فدل على أنها عبادة كما تقدم.

قال ابن كثير في تفسير الآية: (﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ أَيِ: ارْجِعُوا إِلَى اللهِ وَاسْتَسْلِمُوا لَهُ)

(ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وفي الحديث: «إذا استعنت فاستعن بالله»)

الاستعانة عبادة، ومعناها طلب الإعانة.

والاستعانة التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى هي الاستعانة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ومن استعان بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فهو مشرك الشرك الأكبر.

أما الاستعانة بمخلوق في أمر يقدر عليه فهي مباحة، كالاستعانة به في حمل شيء ثقيل، أو الاستعانة به في عمل ما من الأعمال التي يقدر عليها فهذا لا بأس به، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» أخرجه مسلم.

والدليل على أن الاستعانة عبادة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

أي نعبدك ولا نعبد غيرك، ونستعين بك ولا نستعين بغيرك.

وهـذا الحصر أفاده تقديم ما حقـه التأخير، فقدم المعمـول وهو ﴿إِيَّاكَ﴾ فهو مفعول به مقدم، على العامل وهو ﴿نَسْتَعِينُ﴾ وهو فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقدير: نحن.

وإذا كان الله تعالـى يرضى لنا أن نسـتعين به دل على أن الاسـتعانة عبادة، لدخولها في حد العبادة كما تقدم.

وفي الحديث: «إذا اسـتعنت فاستعن بالله»: هذا الحديث أخرجه الترمذي في جامعـه (٢٥١٦) في وصيـة النبي صلى الله عليه وسـلم لابـن عباس رضي الله عنهما قال فيه: «إِذَا سَـأَلْتَ فَاسْـأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْـتَعَنْتَ فَاسْـتَعِنْ بِاللهِ» وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني.

وهذا الحديث فيه حصر الاستعانة بالله تعالى وحده.

(ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، **و** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾)

الاستعاذة: طلب الإعاذة، ومعناها: الاستجارة والالتجاء والاعتصام.

فالاسـتعاذة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى شـرك أكبر. لأن هذه الاستعاذة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

والدليل على أنها عبادة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ فأمر جل وعلا بالاستعاذة به، ولا يأمر إلا بما يحب، فتكون الاستعاذة عبادة كما تقدم. ومثلها في الدلالة الآية الأخرى.

والمراد بالفلق: بياض الصبح إذا انفلق من الليل.

والاستعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه جائزة، كالاستعاذة بالسلطان ونحوه لدفع ظلم ظالم عنك، ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم لما ذكر الفتن: «ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به» أخرجه البخاري ٣٦٠١، ومسلم ٢٨٨٦.

(ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾)

الاستغاثة: طلب الإغاثة، وهي الإنقاذ من الشدة، والاستغاثة أخص من الدعاء.

فالاستغاثة هي دعاء المكروب خاصة.

فمن استغاث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فهو مشرك كافر؛ لأن هذه الاستغاثة عبادة لا تصرف إلا إلى الله تعالى.

والدليل على كونها عبادة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فرتب على الاستغاثة به الجزاءَ بالاستجابة له، ولا يجازي الله تعالى بالاستجابة لعبده إلا إذا فعل ما يحب، فدل على أن الاستغاثة عبادة.

كما يُستدل على أن الاستغاثة عبادة بأنها نوع من الدعاء كما تقدم، فيشملها ما تقدم من الأدلة على أن الدعاء عبادة.

(ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾)

الذبح عبادة مالية، ويقصد به: إراقة الدم تعظيما للمذبوح له وتقربا إليه.

وقد قرنه الله تعالى بالصلاة في قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي ما أحيا عليه من العمل الصالح، وما أموت عليه ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ فدل على توحيد الله تعالى بذلك كله.

واللام في قوله (لله) تفيد الاختصاص، فدل على أن الذبح خاص بالله تعالى، لا يذبح لغيره، فمن ذبح متقربا بالذبح لغير الله تعالى فهو مشرك شركا أكبر.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ فأمر جل وعلا بالنحر له سبحانه، فدل على أنه عباده.

(ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله»)

هذا الحديث أخرجه مسلم ١٩٧٨.

وجه الدلالة منه: أن هذا الحديث يدل على أن الذبح لغير الله تعالى مما يبغضه الله تعالى؛ لأن فاعله ملعون، ومرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، وإذا كان جل وعلا يبغض الذبح لغيره، ففي مقابل ذلك أن التقرب بالذبح لله تعالى وحده محبوب له، وإذا كان محبوبا فهو عبادة.

(ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾**).**

النذر: هو إلزام مكلف نفسه لله عبادة غير واجبة عليه بأصل الشرع، تعظيما للمنذور له.

والدليل قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ...﴾ فقد أثنى الله تعالى على عباده الأبرار بأنهم يوفون بالنذر، وهو سبحانه لا يثني إلا على من فعل ما يحب، فدل على أن الوفاء بالنذر عبادة.

ويدل لكون النذر عبادة قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ يعني وسيجازيكم عليه، ويثيبكم كما يثيبكم على النفقة في

الخير، فدل على أن النذر عباده.

والحمد لله رب العالمين.